

التحليل النفسي للحكاية الشعبية العجيبة

Psychoanalysis of the Wonderful Folk Tale

ملوكي فريدة *

جامعة جيجل (الجزائر)، Farida.melouki@univ-jijel.dz

Farida Melouki
University of Jijel (Algeria)

تاريخ الاستلام: 2021/07/31 تاريخ القبول: 2021/12/03 تاريخ النشر: 2022/04/15

ملخص:

يعد المنهج النفسي من أهم المناهج النقدية في تحليل الحكايات الشعبية لما أظهره من نجاعة تحليلية ضمن إجراءاته المعروفة خاصة عند كل من فرويد و ماري لوييز فان فرانتر ، حيث اجتهد هذان العالمان بوضع تحليل يمكن من خلاله التوغل في أعماق هذه النصوص وفك الرموز والغموض وبيّنا أن هذه الآثار لا تقل أهمية عن النصوص الرسمية كالرواية والقصة لما تصوره من تفاعلات الحياة النفسية المتمثلة في الصراع من أجل العيش بسلام وأمان وتحقيق التوازن النفسي للذات ، إضافة إلى أنها تعد ملجأ لإفراغ المكبوتات وكل ما هو ممنوع ضمن عالم خيالي إستهامي.

الكلمات مفتاحية: التحليل النفسي عند فرويد وفان فرانتر، الحكاية الشعبية العجيبة ، الخيال، المتعة .

Abstract:

The psychological approach is considered one of the most essential critical approaches in analyzing folk tales due to the analytical efficacy that is shown within its well-known procedures, especially for Freud and Frantz Marie Louise Von as these scholars have strived to establish an analysis that can help dive into the depths of texts deciphering symbols and ambiguities and shown that these effects are not less important than formal texts, such as the novel and the story, because of the Interplay of psychological life represented in the struggle for life in peace and safety and achievement of psychic equilibrium of the self, additionally considered a way for releasing repressions and all that is forbidden within a fictional, phantasmal world.

Keywords: Psychoanalysis for Frantz Marie Louise Von and Freud-The Wonderful Folk Tale-Fantasy-Enjoyment.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة:

حظيت الحكايات الشعبية باهتمام كبير في الدراسات النقدية وخاصة في المنهج النفسي، إذ توضح أن هناك علاقة وطيدة بين هذه النصوص والتحليل النفسي فهي تبني على عنصر الخيال الجميل الساحر الذي حقق لهذه النصوص الشهرة، الأمر الذي جعل القراء والنقاد يغرمون بها ولا يقدرّون على فراقها أو الابتعاد عنها فلا يوجد بيت في هذه المعمورة لا تسرد فيه هذه الحكايات، ولدت مع الإنسان فهي تعكس لاشعور الإنسانية أو هي تعبير عن اللاشعور الجماعي القديم للبشرية. على حد تعبير المحللين النفسانيين. وبفضل القراءات النقدية النفسية تمّ الكشف عن عوالم الخيال المضمرّة التي لا توجد إلا في ذهن المتلقي، تعكس مكبوتاته وتجاربته التي يحياها في اللاشعور.

وليست الحكايات الشعبية مجرد وسيلة للتسلية والترفيه وإنما ترمي إلى هدف تعليمي تربوي أخلاقي وذلك من خلال تجسيد قيم الخير والعدالة والطيبة والجمال والإخاء والمحبة ضمن عنصر الخيال، أي الابتعاد عن أسلوب التلقين والأمر والتعليمات القسرية وهذا ما يجذب الطفل ويساعده في التأثير بالشخصيات البطلة الشجاعة. وقد أغرنا بدورنا بهذه القصص المثيرة، حيث اخترنا قصة عجيبة من التراث بعنوان "الخاتم السحري" عالجانها ضمن المنهج النفسي ركزنا على تنظيرات سيغموند فرويد وماري لويز فرانتز، إذ سنهتم بتحليل اللاشعور من خلال تتبّع تحركات الشخصية البطلة دون أن ننسى عنصر الصراع الذي يبني عليه العمل السردى. وتهدف هذه المقاربة إلى تبين مدى فاعلية التحليل النفسي في قراءة نصوص الحكايات الشعبية العجيبة إذ يثار تساؤل هنا وهو: هل ستستجيب حكاية الخاتم السحري لتنظيرات هؤلاء الباحثين النفسانيين؟ وهل سنخرج بتحليل يفيد القارئ فكريا ومعرفيا كما هو معروف في التحليلات النفسية؟ في البداية سنعرض نص الحكاية كاملا مسجلا في إحدى الجلسات دونه الباحث المغربي محمد حجو.

2- نص الحكاية:

صلوا على النبي".

. اللهم صل عليه وسلم.

. كان هناك في قديم الزمان رجل ، لا واحد ألا الله ، سبحانه.

. سبحانه.

كم كان لهذا الرجل من أبناء؟ كان له اثنان، رجلان . كان أحدهما ذكيا جدا، والآخر نوعا ما أبله . وكان له ثلاث بنات : وقد عرف بين الناس بالحكمة والرزانة . وافته المنية يوما (إنه قدرنا جميعا ، ولا دوام إلا الله). ولكن قبل أن يرحل عن هذا العالم، نادى على أبنائه وهو على فراش الموت وقال لهم: "سامحوني يا أبنائي، أنا أسامحكم من كل قلبي . هذا العالم سيتلاشى يوما. والآن انظروا جيدا إلى هاتين الغرفتين. هذه لا أريدكم أن تدخلوا إليها بعد مماتي، إلا إذا لم يتبق لكم أي زاد تعيشون به وأخواتكما أتركهن في رعايتكما . ثم توجه بالكلام إلى ابنه الذكي: "زوجهن لأول من يتقدم لخطبتهن".

مرت الأيام وهما هو ذا أول خاطب يتقدم ذات مساء، لقد كان عفريتاً.

صاح:

. يا أهل الدار، يا أهل الدار ، يا أهل الدار ، سمعه الابن الذكي فخرج إلى عتبة الدار ليحيب:

. نعم ، ماذا تريد ؟

. جئت طالبا يد أختك الكبرى للزواج.

نادى الابن أخته الكبرى: "خذي رداءك وتعالني إلي". حضرت البنت إلى جانب أخيها فقال لها: "ها هو ذا زوجك. اتبعيه". زوجها له دون صداق أو شرط . فأخرج العفريت عصية ومدّها لصهره قائلاً: "خذ هذه العصية، احتفظ بها، إنّ عجلة الزمان تدور، ولا ندري إلّام تصير الأحوال. إذا احتجت يوماً لمساعدتي خذ هذه العصية وانفرد بنفسك، ثم اضرب الأرض بالعصية مردداً، يا ويحي يا ويحي، يا ويحي. وسأحضر لمساعدتك".

علّق الابن العصية في سقف البيت. وذات مساءً آخر حضر شاب لخطبة الأخت الوسطى. لقد كان بدوره عفريتاً، أختاً للعفريت الأول. زوجها له أخوها كما فعل مع أخته الكبرى دون صداق أو شروط. مدّ له العفريت عصية وردّد له نفس العبارة التي ذكرها أخوه الأول.

وبعد أيام حضر عفريت آخر ذات مساءً طالبا الزواج من الأخت الصغرى كان بدوره الأخ الأصغر للعفريتين السابقين . زوجه الابن إياها دون صداق أو شرط. زوّده هذا العفريت أيضاً بعصية وقال له ما قال أخوه سابقاً. وهكذا تزوجت الأخوات الثلاث الإخوة العفاريث الثلاثة.

بقي الأخوان لوحدهما، لا أحد يقوم لهما بشؤون البيت، مرّت أيام وأيام .فكرا يوماً بعد أن نفذ زادهما: "يمكننا الآن أن نلج هذه الغرفة، فأخواتنا قد تزوجن، ونحن لا نعرف أزواجهن حتى. جاءونا جميعاً في الليل ولم يبق لدينا على أي حال ما نفتات منه".

دخلا الغرفة. كانت فارغة، لم يكن بها سوى ديك أحمر كبير، كأنه تيس ، وقبعة وحذاء . اقتسما هذا الارث حيث أخذ الابن الأبله الديك بينما أخذ أخوه الذكي الأشياء الأخرى . قال الأبله: "هيا بنا إلى سوق المدينة نبيع الديك، تم نبحث عن مطعم لنأكل، وبعدها نرجئ أمرنا إلى الله".

وصلا إلى السوق. تولى الأخ الذكي مهمة بيع الديك. وبمجرد ما وقعت عينا يهودي على الديك أسرع الخطي للسؤال عن الثمن (كان هذا اليهودي ذا حكمة أيضاً).

. كم تطلب ثمناً لهذا الديك ؟

. مائة مثقال، أجاب الابن (هذا ثمن مرتفع بالنسبة لذلك العصر) ؟

. إنه ثمن مرتفع جداً، أجاب اليهودي (مع أنه كان يعرف قيمة الديك الحقيقية).

. حدّد لي ثمناً معقولاً.

. لا لن أبيع به بأقل من هذا الثمن.

. يبدو أنك لا تريد أن تبيع هذا الديك ، أنا أبتاعه منك بخمسين مثقالاً إن كنت تريد بيعه.

. دعه إذن، إنه ديك، ولن أبيع به بأقل من هذا الثمن.

ابتعد اليهودي وجلس يراقب الابن. وحينما لاحظ أن السوق قد أوشك على الانتهاء، خاف أن ينصرف الابن بديكه . فمرّ أمامه وتوقف قائلاً:

. لم تبع بعد ديكك إذن ، لقد اقترحت عليك ثمناً جيداً. أجابه الابن بعد أن أطلق ضحكة تكاد تكون ساخرة:

. لم آت به إلى السوق إلا لأبيعه، ولكن أقسم بالله ألا أبيعه بأقل من مائة مثقال. فكّر اليهودي قليلا وقال: هاته إذن.

باعه الديك، ولكن بعد لحظة قصيرة فكّر: (انظروا معي جيدا ، انظروا إلى هذا الذكاء ..) "إن ديكا غال جدا بمائة مثقال. ما الذي يريد أن يصنع به هذا اليهودي؟ أقسم أن أراقبه".

تعقّب اليهودي من درب إلى آخر حتى وصل إلى بيته. طرق الباب، فتحت زوجته. وقبل أن يتخطى العتبة قال لها: " افتحي، افتحي. لقد نلنا اليوم ما كنت تتمنيه منذ زمن بعيد ". سمعه الابن وفكّر مع نفسه: "لا شك أن هذا الديك كنز ولكنني لم أعرف كيف أستفيد منه . لن تفارقه عيناى منذ الآن ". تقدّم حتى اقترب من الباب وصار يختلس النظر والسمع من خلال ثقب. عجب لليهودي يقول لزوجته: "إن هذا الديك كنز حقيقي يمكنه أن يعول أحفاد حفدة أحفادنا".

ذبح اليهودي الديك، أزال ريشه ثم قطعه أطرافا وضعها في الطاجن وتبّلها، وقال لزوجته: "سأذهب بهذا الطاجن إلى الفرن كي يطهوه". ابتعد الابن عن الباب بعد أن سمع كل شيء. خرج اليهودي بطاجنه. تبعه الابن إلى الفرن. كان به أناس كثيرون، اندسّ الابن بين الناس وأرهف السمع كي يلتقط ما سيقوله اليهودي للفرن. دنا اليهودي من الفرن وقال له: "جذ هذا الطاجن وهيئه كما يجب، أرسل لي معه خبزتين . ولكن احذر، لا تسلمه إلا للذي سيجر أذنك . " سمع الابن كل شيء .

انصرف اليهودي وبقي الابن على مقربة من الفرن يراقب الطاجن ويتربّب لحظة إخراجها من النار . وبمجرد ما أخرجها الفرن قصده الابن وجرّ إحدى أذنيه. لم ينبس الفرن بكلمة، بل اكتفى باختيار خبزتين ووضعهما فوق غطاء الطاجن. لم ينطق الابن بدوره بأية كلمة. ذهب مسرعا إلى أخيه ولما وصل قال له: "تعال لنأكل، بعنا الديك بمائة مثقال ونحن من سيأكله".

أثناء الأكل سمع الابن الذكي صوتا معدنيا ينبعث من الطاجن. أعاد يده باحثا عن مصدر ذلك الصوت فوقعت يده على خاتم ، كان ذلك هو الكنز: خاتم سحري.

أدخل خنصره فيه، وما كاد يديره حتى انبعث أمامه جماعة من العفاريت وهم يصيحون: "لماذا تحرقنا هكذا؟ ما الذي ترغب فيه سيدنا ؟ إن شئت أحضرنا لك كنوز الجبال وكنوز السهول، ولكن رجاء ، لا تحرقنا بالنار" فأجابهم: "يمكنكم الانصراف الآن. سأنادي عليكم حينما أحتاجكم".

فكّر اليهودي: "لا شك أن ديكي قد طهي الآن". فأرسل من يحضره قائلا: "يكفيك أن تجر إحدى أذني الفرن، سيفهم هو المقصود، سيسلمك طاجنا وخبزتين".

وصل الخادم إلى الفرن وذهب مباشرة إلى أذن الفرن وجرّها. فانتفض الفرن صارخا في وجهه: "كفى. ألن تكفوا عن جر أذني ؟ سبقك شخص وجر أذني منذ قليل . سلمته الطاجن وخبزتين، أنه الطاجن الوحيد الذي كلفت بطهيه اليوم ."

عاد الخادم إلى اليهودي ليخبره: "لقد أخذ الطاجن من الفرن، يبدو أن أحدا سبقني وسلمه الفرن الطاجن لأنه جرّ أذنه.

لم ينبس اليهودي بكلمة. ولكنه بقي حذرا متنبها في انتظار ظهور أثر للخاتم . تعاقبت الأيام. وصل إلى علم الابن الذكي أن سلطانا يريد تشييد قصر فوق أرض مهجورة تغطيها النفايات والأزبال، كانت هذه البقعة تنظف في النهار ولا يكاد يحل الليل حتى تكون قد امتلأت نفايات وأزبالا، وبكمية أكبر. كان السلطان قد حار في أمر هذه الأرض حيث لم يكن يدري ماذا يفعل أو يفهم ما الذي يجري. ولكن ما الذي كان يقع بالضبط ؟ كانت هذه القطعة من الأرض مسكونة، أي بها عفاريت يرفضون أن يبنى القصر فوقها. كان هذا يحدث في مدينة بعيدة جدا. شدّ الابن الرحال إلى تلك المدينة، وقصد تلك البقعة. كان العمال لا يزالون مشغولين. سألهم . ألم تنتهوا بعد من تنظيف هذه الأرض ؟ فأجابه أحدهم:

. لو تعلم، إن لهذه الأرض قصة طويلة، الحقيقة أننا نعمل على تنظيفها منذ مدة، ولكننا لا نفهم كيف أنّ الأزبال التي نقلها من هنا بالنهار تعود إلى مكانها بالليل أضعافا مضاعفة، فردّ عليه:

. إن شئتم خلصتكم من هذه الأزبال، أعدكم أنه لن يطل صباح الغد حتى تكون قد نقلت والقصر قد شيّد فصار كل من مر أمام القصر يتساءل من أين وكيف جاءت هذه التحفة العجيبة، حتى البارحة لم يكن تنظيف الأرض قد أنهى، وهاهو ذا القصر قد شيّد بين عشية وضحاها.

تناهى الخبر إلى السلطان فأمر أن يؤتى إليه الابن الذكي. ولما جيئ به وعرف منه السلطان القصة قال له: اسمع يا ولدي، إني أزوجه ابنتي وأهبك نصف مملكتي جزاء لك على ذكائك وعلى ما قمت به".

ذلك ما كان، تزوج ابنة السلطان واستقر معها في ذلك القصر بالذات (نعود إلى الصلاة على النبي) مر زمن غير قصير، علم اليهودي بالأمر . قال لزوجته: لقد ظهر كنزنا، الخاتم موجود في قصر السلطان، يجب أن أذهب الآن لأستعيذه حتى ولو كان في النار .

سافر اليهودي إلى تلك المدينة. رأى القصر مشيدا كما حكي له، فتعجب مع نفسه: إن هذا لمن عمل العفاريت". ماذا سيفعل اليهودي الآن ؟ اشترى حقا جعل فيه بعض الحلي وصار يتنقل بين دروب المدينة وهو يصيح لبيع سلعته. فكانت النسوة يسألنه: "ماذا تباع ؟" فيجيب: "لدي خواتم جديدة أفايضاها بالقديمة" وهكذا من درب إلى درب حتى وصل إلى القصر. سمعته ابنة السلطان فخرجت ماذا تباع ؟

. عندي كل ما تريدين سيدتي، خواتم جديدة أفايضاها بأخرى قديمة، تعالي انظري، تعالي ... فعقبت: . لو كنت تباع الخواتم لاشرتيت منك واحدا، لزوجي خاتم قدم ولكنه لا يزيله من أصبعه إلا يوم الجمعة حينما يريد الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة.

. إن شئت، أنا يمكنني أن أعود يوم الجمعة. . إن عدت يوم الجمعة القادم ، سيكون الأمر جيدا ما دام يترك الخاتم على حرف النافذة حينما يريد الخروج إلى المسجد.

والحال أن زوجها كان قد أوصاها ألا تلمس الخاتم (انظروا معي ماذا ستفعل هذه الشقيّة). عاد اليهودي يوم الجمعة. لم يصح في أي مكان لبيع سلعته ما عدا بباب القصر .فتحت الباب وخاطبته: . وصلت الآن ؟ ادخل . أجابها وهو يتخطى العتبة: . ألم أكن قد وعدتك بالرجوع ؟ هل معك الخاتم ؟

. نعم ها هو .

استولى اليهودي على الخاتم، أدخل فيه أصبعه، ثم أداره فانبعثت العفاريت (لم تر الزوجة شيئاً، وحده من يملك الخاتم كان بإمكانه رؤيتهم). صرخ العفاريت:

. ماذا تريد سيدنا ؟

. أريد أن يرفع هذا القصر بكل ما فيه إلى عنان السماء وأن تعاد النفايات والأزبال إلى مكانها كما كانت من قبل. نَقَذ العفاريت أوامر سيدهم.

حينما عاد الزوج من المسجد كان القصر غير موجود والأزبال قد ملأت الأرض. فقال في نفسه: "لا حول ولا قوة إلا بالله". أدرك أن اليهودي قد استولى على الخاتم وفعل كل هذا.

علم السلطان بالأمر فاستشاط غضباً. نادى على زوج ابنته وقال له: "اسمعي جيداً، أريد أن تعيد إليّ ابنتي ابحت عنها، في السماء كانت أو تحت الأرض، وإلا قطعت رأسك".

حار الزوج في ما يفعل وفكّر طويلاً. تذكر العصيات التي منحها إياه أصهاره، فقال في نفسه: "يجب أن أذهب إلى الدار حيث تركت العصيات"، لبس الحذاء الذي ورثه، وما كاد يخطو الخطوة الأولى حتى نزل في الدار في رمشة عين، كما لو خطا خطوة واحدة من هنا إلى الدار البيضاء . اندهش لذلك وتعجب: "ما أروع هذا الحذاء أنه حذاء سحري".

كانت الدار المهجورة قد صارت أطلالا. ولكنه تمكن مع ذلك من العثور على العصيات بين الركام. أخرجها وانعزل بها في مكان به مرج. ضرب الأرض بالعصية الأولى ثلاث مرات قائلاً: يا ويحي، يا ويحي، يا ويحي (لم يكن يعرف أن أصهاره عفاريت، الآن فقط سيكتشف ذلك). فانبعث صهره الأكبر وسأله: "ماذا تريد؟"

حكى له الزوج ما حدث له، فأمر العفريت أن يضرب الأرض بالعصية الثانية، ففعل كما في الأول، قائلاً: يا ويحي، يا ويحي، يا ويحي وفي رمشة عين حضر صهره الثاني وسأله: "ما الذي أصابك؟"

قص عليه الزوج حكايته مع الخاتم السحري والسلطان، فأمر العفريت أن يضرب الأرض بالعصية الثالثة ففعل قائلاً، كما في المرتين السابقتين وفي رمشة عين حضر صهره الأصغر. فخاطبهم الزوج جميعاً: "إني أحسنّ كما لو كنت واقفاً على شجرة بين الحياة والموت، إن كان لديكم مخرج، أنقذوني، وإلا فلن أرى زوجتي مرة أخرى واعتبروني في عداد الموتى".

تداول العفاريت فيما بينهم.

. كم يلزمك من الوقت كي تسافر عبر اليابسة كلها ؟

. في رمشة عين، أجاب الأصغر.

. وأنت كم يلزمك من الزمن كي تسافر عبر البحار والمحيطات كلها ؟

. في رمشة عين أكون قد سافرت عبر مياه العالم كلها، أجاب الأوسط.

. وأنت كم تحتاج من الوقت كي تعبر السماء ؟ أجاب الأكبر بدوره:

. في رمشة عين أكون قد قطعت السماء من أقصاها إلى أقصاها.

انطلق الأصغر ليدور حول اليايسة، وما كاد يغيب عن عيونهم حتى لمحوه يعود قائلاً: لم أجد شيئاً، لا أثر للقصر".

ثم انطلق الأوسط الذي تكلف بالبحث حول البحار والمحيطات. وما كاد يختفي حتى عاد يخبرهم: "لا أثر للقصر في عالم الماء".

جاء دور الأكبر فانطلق في السماء وما إن غاب حتى رجع ضاحكا وهو يقول: لقد وجدت القصر. اليهودي الآن نائب والخاتم تحت لسانه، ليست لديه ثقة في المرأة".

تساءل الجميع عن كيفية التصرف. فاقترح العفريت الأكبر أن يتحول أحدهم إلى جرد، والثاني إلى هر والأخير إلى حمامة. تنزل الحمامة على حافة نافذة الغرفة التي ينام فيها اليهودي ويصعد الهر فوق صدره ويدخل الجرد ذيله في أنفه بعد أن يبلله بالزيت.

نقذ الجرد دوره، عطس اليهودي، قفز الخاتم من فمه على صدره، التقطه الهر، وسلمه للحمامة التي طارت به وأعادته إلى الزوج. أدخل خنصره فيه وأداره فحضر العفريت الخدام وهم يصيحون: ماذا تريد سيدي؟. أريد أن تحملوني إلى مدينة السلطان، حيث كان القصر.

أعادوه إلى ذلك المكان، فأمرهم ثانية أن يرموا الأزيال في الثلث الخالي من الأرض، وأن يعيدوا القصر إلى مكانه، وأن يعلقوا اليهودي فوقه في الفراغ.

حكاهما لنا أهل الجود وحكيانها لكم، أنتم أهل الجود".

3- دراسة الحكاية: اشتهرت الباحثة السويسرية ماري لويز فون فرانتر، تلميذة المحلل النفسي كارل يونغ بتحليل القصص الشعبي حيث وضعت نموذجاً تحليلياً يساعدها في قراءة نصوص الحكايات الشعبية بشكل دقيق. تنطلق من تقسيم النص إلى ثلاث مراحل وهي: المقدمة، العرض، التحول والنتيجة.

ففي بداية الدراسة "يتم تحليل العبارات النمطية التي تأتي في مستهل الحكاية من أجل معرفة دلالتها وهي عادة ما تشير إلى اللازم وتقوم بوظيفة الزج بالمستمع في عالم خيالي مختلف عن عالم الواقع الذي يعيش فيه. يتم حصر الشخصيات المشاركة في الفعل والنظر إلى ما ظهر منها في مستهل الحكاية.

. توضيح المشكلة التي تطرح في مرحلة العرض.

. تأتي بعد ذلك مرحلة بناء حبكة القصة أين تبلغ الأحداث ذروتها عن طريق سرد المغامرة أو بالأحرى المغامرات والأسرار والألغاز.

. تتجه الحكاية في النهاية نحو تقديم مخرج للأحداث أو اقتراح حل لها، قد يكون سارا وقد يكون غير ذلك. . في ختام القصة نعثر على العبارة النمطية التي تنقلها فجأة من كنف عوالم الحكاية إلى العالم الواقعي الذي نعيشه أو بالأحرى تنقلنا من العالم البعيد للحلم الطفولي للوعي الجمعي الذي لا يمكننا أن نظل فيه طويلاً". (مجاهد، 2004، صفحة 404)

سنعتمد على هذا النموذج الهيكلي في دراستنا للنص الحكائي ثم نعرّج إلى التحليل النفسي الذي يناسب النص المقترح، حيث استعنا بتنظيرات سيقموند فرويد حول "الحلم، الخيال، الإستهام" حتى نصل إلى الباحثة فون فرنتر وما اقترحت حول مصطلح الظل الذي اشتغلت عليه كثيرا في حكايات الجن.

ويكشف يونغ عن المظهر الداخلي وغير المرئي في شخصيتنا ويسميه بالخيال أو الظل يعده من الأنماط القديمة أو الصور الأولية البدائية التي نجدها في الحكاية الشعبية كشخصية الشرير الموجودة في صورة الساحرة والتي تنكر بمظهر الشخصية الطيبة" (صلاح، 2002، صفحة 62)، وكما نجد مصطلح القناع وهو ذلك المظهر المصطنع الذي نبدو به أمام الناس وهناك القرينة والقرين "فتوجد القرينة في لاوعي الأنثى والقرين في لاوعي الذكر وهي عبارة عن قوة دافعة لا شعورية تتبدى من خلال رموز الحكايات في أشكال شتى كصورة العجوز الحكيم وصورة الأم، ووجد يونغ أن هذه الأنماط هي جزء من التركيب اللاشعوري لكل فرد إذ تؤثر على الخيال بحيث ترى الشخصية نفسها في صورة الأم العظمى أو العجوز الحكيم ويكشف المحلل النفسي هذا التأثير لتلك الأنماط من خلال التعابير الكتابية أو الأحلام أو في حالة الأمراض النفسية" (مجاهد، 2004، صفحة 401).

4- تقسيم الحكاية إلى مراحل:

1.4. الاستهلال

استهلّ الراوي حكاية الخاتم السحري بالصلاة والسلام على النبي الكريم محمد، وتأتي العبارة النمطية كان هناك في قسم الزمان التي نجدها في حل الحكايات الشعبية.

2.4. المشكلة: تتلخص المشكلة في قيام المعتدي وهو اليهودي بسرقة الخاتم السحري من زوجة البطل الابن

الذكي، كانت ساذجة حيث أغراها بالمجوهرات الجديدة، فقد كان فطنا يعرف أن المرأة تفقد العقل حينما يتعلق الأمر بالحلي والذهب، وهذا ما حدث فلما رأّت الحليّ استبدلت الخاتم الذي كانت تلبسه بخاتم برّاق مزيف، فرح اليهودي وأدخل فيه أصبعه أداره فانبعثت العفاريت لترفع القصر بكل ما فيه إلى عنان السماء، وبتصرف الزوجة الغبي أوقعت زوجها في مأزق حيث هدّده السلطان بقطع رأسه إذ لم يسترجع ابنته والقصر.

3.4. التحول: تنبني هذه الحكاية العجيبة على عنصر التحول حيث يغلب الخيال على الواقع، كان البطل

يستنجد بالجن والعفاريت في قيامه بالمهمات الصعبة، فقد كلفه السلطان بنقل الأزيال والأوساخ من الأرض التي يريد بناء القصر عليها فتمكن الابن الذكي بمساعدة الجن من طرد العفاريت التي كانت تعرقل البناء وتمّ تشييد القصر في ليلة واحدة. ويأتي تحول آخر لما استولى اليهودي على الخاتم السحري وأمر الجن برفع القصر إلى الأعلى، لم يستسلم البطل واستعان بالأدوات السحرية التي ذكرها الراوي في بداية الأحداث، لبس الحذاء وفي رمشة عين وصل إلى المدينة التي كان يسكن فيها، قصد بيته القديم العتيق من أجل البحث عن العصيات السحرية حرّكها فخرجت منها العفاريت، تحول العفريت الأول إلى جرد والثاني إلى هر والأخير إلى حمامة وضعوا خطة ناجحة وقاموا بدورهم على أكمل وجه وتمكنوا من إخراج الخاتم من فم اليهودي وإعادته إلى الزوج، فعاد القصر إلى مكانه واختفت النفایات.

4.4. الشخصيات: حركت أحداث هذه الحكاية مجموعة من الشخصيات تقاسمت الأدوار بين الخير والشر

ويظهر الابن الذكي ضمن الشخصيات الخيرة، كان يسعى إلى فعل محمود وهو إزالة الأوساخ ومحوها ليتم تشييد القصر مما جعله يحظى بمكانة مرموقة عند السلطان حيث زوّجه ابنته وأصبح من أهل القصر بفضل ذكائه.

وتأتي شخصية اليهودي، الشخصية المعتدية الشريرة الذي كان يخطط ويبرمج من أجل الاستلاء على القصر والزوجة، الأمر الذي زاد من الاثارة والتشويق في سير الأحداث. وتحضر شخصيات العفاريت في النص السردية التي قامت بدور المساعد والمعارض في نفس الوقت.

5.4. نهاية القصة: تنتهي القصة بمعاقة المعتدي (اليهودي) الذي ألحق الأذى بالبطل وبالمملكة فكاد البطل أن يقتل لولا ذكائه الذي يعتبر عنصراً أساسياً في بناء الأحداث، فقد احتفظ بالعصيات السحرية ولم يضيعها، حبّتها في مكان من البيت ولم يرمها إلى أن جاء دورها في أحداث الحكاية، وقامت العفاريت بمساعدة البطل في العثور على اليهودي ومعاقبته فينتصر الخير على الشر.

6.4. خاتمة الحكاية: تنتهي هذه الحكاية بعبارة نمطية ختامية وهي: حكاها لنا أهل الجود وحكيها لكم، أنتم أهل الجود، وتعتبر هذه العبارة أساسية يتم بها إغلاق القصة.

5- **التفسير النفسي للحكاية:** ينطلق التحليل النفسي للحكايات الشعبية من اللاشعور وسنبتدئ بذكر نظريات الأستاذ فرويد قبل أن نصل إلى فان فرانتر، ويتجسّد اللاشعور في النص الحكائي بشكل آخر أي بصورة إيجابية وليست سلبية، فقد كان في شكل الحلم الذي تحدث عنه "فرويد"، حيث تكلم عن فائدة اللاشعور في تحليل الشخصية. ويؤكد أن "ال هو" وحده الكفيل بتزويد "ال أنا" بالطاقة اللازمة التي تمكنها من تكييف النزعات اللاشعورية والاستفادة منها باستعمالها على نحو بناء. ذلك أن اللاشعور هو معين المادة الخام والقاعدة التي تبنى عليها "ال أنا" شخصيتنا وإذا ذهبنا بهذه المقارنة إلى أبعد من هذا يمكننا القول إن استيهاماتنا هي الوسائل الطبيعية التي تغذي وتكيف هذه المادة الخام، مما يجعلها مفيدة للـ "أنا" وهي تبني الشخصية. إذا حرمانا من هذه الوسائل الطبيعية، فإن حياتنا تبقى محدودة، بدون الاستهجمات التي تعطينا الأمل، ليست لدينا القوة لمواجهة نحن الحياة". (حجو، صفحة 193)

ويمكننا أن نقول أن الانسان يسعى في إنتاجه القصصي الشعبي إلى تصوير رغباته وقلقه حيث لجأ إلى هذا النمط الأدبي السردية ليفرغ فيه مكبوتاته، فيغلب على نص الحكايات اللاشعور (الحلم)، ويوضح سيقموند فرويد "أن الحكايات تتساوى مع الحلم، حيث اعتبرها إنتاجاً أو حصيلة توفيقية لمختلف تفاعلات الحياة النفسية شأنها في ذلك شأن الأعراض العصبية والأحلام والإبداعات الفنية وليس يبعد عن ذلك الإستيهام كعملية تخيلية تصور فيها الذات تحقيق رغبة ما بطريقة محرّفة أو مشوّهة نوعاً ما فيكون هناك تقابل بين الحالم المتخيل في الاستهام والراوي في الحكايات". (pontalis, 1967, p. 152)

فقد جعل فرويد الفن كالحلم الحالم أو كحلم اليقظة، وجعل المبدع شخصاً يحلم في أوج الضحى " (بلوحي، 2002، صفحة 25)، بمعنى أن الفنان لما يكتب يسافر إلى عالم الخيال أو اللاشعور يعبر عن مكبوتاته ويحاول تحقيق رغباته ولو بطريقة ممنوعة. وضّح فرويد أن للحلم وظيفتين هما إرضاء الرغبات اللاشعورية التي ترتبط دائماً بالمكبوت والممنوع ومتطلبات الشعور أو الوعي الذي يحول تحقيق تلك الرغبات لأنه يستهجنها ولا يرتضيها". (حجو، صفحة 185).

ويظهر التشابه بين الحالم المتخيل في الاستيهام والراوي في الحكايات أي أن كلا منهما يعيش في اللاشعور "يشعران بالمتعة ويجدان في تلك الحكايات تلبية لخيالهما المتدفق من ناحية وتلبية لاحتياجاتهما النفسية من ناحية أخرى". (ابراهيم، صفحة 235)

ونعثر على مشهد إستهامي حلمي في حكاية "الخاتم السحري"، لما استعان الابن الذكي بالخاتم السحري في إزالة الأزيال والنفايات من الأرض التي كان ينوي السلطان بناء القصر عليها، في ليلة استطاع البطل تشييد القصر وهنا يدخل في اللاشعور "الليل"، فالناس كانوا نياما. وكأنّ البطل كان يحلم، يعيش حلمه في اللاشعور الجميل وبعد أن طلع النهار (عودة الشعور) تجمع الناس حول القصر وانبهروا بعمل الابن الذكي (ولم يكذب نور صباح الغد حتى كانت الأزيال قد نقلت والقصر قد شيد، فصار كل من مرّ أمام القصر يتساءل من أين وكيف جاءت هذه التحفة العجيبة، حتى البارحة لم يكن تنظيف الأرض قد انتهى وهما هو ذا القصر قد شيد بين عشية وضحاها)" عبارة "بين عشية وضحاها" تشير إلى اللاشعور (الحلم) الجميل الذي عاشه البطل والناس نياما.

وننتقل إلى مشهد إستهامي آخر يصور الخوف والقلق الذي كان يعاني منه البطل، فقد كان على وشك الموت هدّده السلطان بقطع رأسه إن لم ينجح في استرجاع القصر، وبفضل ذكائه وبمساعدة الجن عثر على القصر الذي استولى عليه اليهودي، كان البطل يشاهد عملية استرجاع القصر وكأنه حلم. ويفسر "عبد الحميد يونس" هذه المشاهد في الحكايات الشعبية: "بأن كل ما هو مكبوت وممنوع وخاضع للرقابة تمرّره الحكاية في ثناياها بصياغة شبيهة بعمل الحلم، حيث يقوم بتصريف الأزمات والمخاوف والرغبات خارج منطق الزمان والمكان" (يونس، 1968، الصفحات 6-7). وبهذين المشهدين الحلميين ينجح البطل في تحقيق ذاته من خلال فعله الخيري النبيل.

ويظهر هنا مصطلح "عقدة الأنا المثالية" الذي تكلم عنه أتباع فرويد في دراستهم للأساطير والحكايات الشعبية ولا يختلف عنهم يونغ وتلامذته في هذا الطرح حيث يبنوا أن "الحكايات الشعبية تهدف إلى رسم عامل نفسي أساس في الفرد وهو اكتساب الشخصية، الأنا الخاصة أو الذات، ذلك أن أبطال الحكايات يعبرون بأدوارهم عن ما يسمى بعقدة الأنا المثالية" (حجو، صفحة 193).

ونرجع هنا إلى فون فرانتر، وضّحت أن بعض الحكايات تهدف إلى دمج ظل البطل، فقد تعدد صوره في القصص الشعبي فلا تنحصر على الأخ أو الأخت كما ذكرنا سابقا وإنما قد يكون في صور السلطان الذي يكلف البطل بالمهمات الصعبة وقد يظهر من خلال بعض العناصر السلبية في شخصية البطل المناوئ كالمبول الشريرة كما نجده في شخصية اليهودي في هذه الحكاية، فالظل ليس دائما سلبيا إذ له جانبه الإيجابي المتمثل في العوامل المساعدة كالجن كما يتجلى في هذه الحكاية "الخاتم السحري".

ونسجل أن هذا البطل أثبت ذاته وحقق شخصيته منذ بداية الأحداث، لم تتمكن منه صورة الأب وظله كما هو معروف في بعض الحكايات، خرج من البيت وتوجه إلى السوق الذي يرمز إلى الحياة واعتمد على نفسه مع إدراكه أن هذه التجربة مليئة بالمخاطر النفسية، ويدل هذا على رغبته في الدخول إلى عالم الراشدين، عالم الرجال. ووصفه الراوي بالابن الذكي لأن لذة المعرفة كانت تسيطر عليه وذلك من خلال دخوله إلى السوق (الحياة) تفتحت له أبواب الحياة، تغلب على اليهودي بذكائه وحصل على الخاتم السحري الذي ساعده في الوصول إلى المكانة

الاجتماعية المرموقة (مصاهرة السلطان)، وهذا لا يتنافى مع قانون الحكايات الشعبية أو قانون الحياة لأن هذه النصوص ما هي إلا مرآة للواقع الاجتماعي للشعوب الانسانية في عالم خيالي عجيب مغري فجّل الأبطال يصلون إلى مدن الملوك وقصور السلاطين بحبهم للمعرفة.

6- الصراع بين الخير والشر: تبني الحكايات الشعبية على الصراع بين الخير والشر، إذ نجد أن الشر دائما ينتصر في البداية، تسيّر الشخصيات الشريرة معتمدة على الأساليب الخبيثة والدينية، ويمثل الشر البؤرة التي تتحرك منها الأحداث في الحكاية بحيث يكون السرد يسير في اتجاه خطي فيدخل حدث الشر ويحرك الحكاية نحو منعطفات مما يفتح باب الاحتمالات تحريك السرد في اتجاهات مختلفة الأمر الذي يجعل هذه الحكايات مشوّقة وممتعة تجذب القارئ.

وضّح الناقد البنيوي "يوري لوتمان" في تعريفه للحدث أن السرد يتركز على الحدث ويظهر الحدث في إحداث خرق ما أو بالخروج عن مألوف ما، ونجد أن هذه الأحداث تمشي في ترتيب وتسلسل حتى يتشكل بناء محكم ومنظم داخل النص، كما يتميز الحدث بالدخول المفاجئ في القصة أي عن طريق الاقتحام "فبخرق وتكسير متصل ما تنتج الأحداث في القصة. وإذا توفر الخرق والاقتحام في الأحداث يصنّف النص السردى ضمن النصوص ذات مبنى وإذا انعدم الخرق فلا يتشكل مبنى النص". (كراد، 2003، صفحة 37)

توصل النقاد من خلال الدراسات النقدية النفسية أن الهدف من توظيف الشر في الحكايات الشعبية هو "الكشف عن جوانب النقص والخلل المادي والروحي التي لا يكون الانسان إنسانا إلا بها، لأنه لا يكون من درجة الملاك ولا من درجة الشيطان. وتصوير الشر والكشف عنه يرحى من ورائه التحفيز على التغيير بتطهير النفس من عيوبها ونقائصها والدفع بها إلى الارتقاء نحو الأمثل والأكمل والأجمل: الخير". (حجو، صفحة 230)

يتلقى البطل الاساءة من طرف الشخصية الشريرة فهذه الاساءة ستعمل على شحن البطل بالقوة والارادة والعزيمة، فسيقاوم ويعمل حتى النهاية ليتغلب الخير على الشر، فالشر موجود شئنا أم أبينا فهو الظل الملازم "الجانب المظلم والناقص في الانسان، أي ما يجب عليه أن يقاومه ويتجاوزه ليجد حياته معنى يستقيه من طعم الانتصار على نواقصه ومثبطاته، وليس الانتصار النهائي للفضيلة هو ما يضمن أخلاقية الحكاية بل تأثر الطفل بالبطل وإعجابه به، حيث يتماهى معه عبر كل محنة". (حجو، صفحة 231)

نستشف من خلال هذا التحليل أنّ تصوير الشر في القصص الشعبي يرمي إلى هدف إصلاحي تربوي كون أن هذه القصص موجهة بالدرجة الأولى للطفل، وبانتصار البطل على الأشرار سيغرس هذا الفعل النبيل في نفس الطفل حب الخير، سيعمل منذ صغره على تنظيف نفسه من الأمراض النفسية كالكره والحقد والبغض ليتمكن من بناء شخصية سليمة. وتنتمي القصص الشعبية إلى الأدب الوجداني الخيالي، فالطفل لما يعيش تلك الحكايات في خياله فسيؤثر بالشخصيات البطلة. ويتجلى الهدف الوجداني في تربية النشئ على تكوين مشاعر إيجابية تجاه الفضائل والجمال ويزرع فيهم كره الرذائل والقبح ويسعى بهم إلى تحمل المسؤولية الفردية والاجتماعية لتصرفاتهم، فهذا الأدب يجمع بين المنفعة والتسلية أي بين المتعة والإفادة.

7- الخاتمة:

وفي الأخير نصل إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي :

حقّق التحليل النفسي للحكايات الشعبية نجاحاً كبيراً عند كل من سيقموند فرويد، وماري لويز فون فرانتر فبفضل هذه الدراسة زال الغموض من هذه النصوص المستعصية التي تتميّز بالسذاجة الماكرة . على قول "عبد الفتاح كليتيو" تبدو سهلة وبسيطة وبتوغل الناقد إلى أعماقها لن يستطيع الخروج منها بسهولة. واستطاع التحليل النفسي أن يكشف خبايا وأسرار هذه الآثار الفنيّة.

. الدراسة النفسية للحكايات الشعبية شيقّة وممتعة للمحلل والمتلقي، ويرجع السبب في ذلك في الخيال المتدفق الموظف في هذه الإبداعات بطريق فنيّة، يلي الاحتياجات النفسية.

. يعتمد المنهج النفسي في إجراءاته على الشرح والتفسير وهذه الخطوة أساسية تجعل النص غنيا بالمعارف والمعلومات التي تشفي غليل القارئ .

. بيّن التحليل النفسي أن الغرض من إنشاء القصص الشعبية من أجل التربية النفسية الخلقية، فهذه القصص تستهوي الطفل أكثر تساعد في بناء شخصية متزنة.

- قائمة المراجع:

- 1- سعيد بن كراد. (2003). سميولوجية الشخصيات السردية . رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا (ط1). دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. الأردن.
- 2- عبد الحميد يونس. (1968). الحكاية الشعبية . دار الكتاب العربي.
- 3- فضل صلاح. (2002). مناهج النقد المعاصر . المغرب: إفريقيا الشرق.
- 4- محمد بلوحي. (2002). الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق. دار الغرب للنشر والتوزيع.
- 5- محمد حجو. (2012). الانسان وانسجام الكون، دار الأمان الرباط.
- 6- محمد مجاهد. (2004). الحكاية الشعبية ، حكايات الطفولة نموذجاً بين الاتباع والإبداع. أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الشعبي. جامعة جلالى الياس بسيدي بلعباس، كلية الآداب والعلوم الانسانية.
- 7- نبيلة ابراهيم. (1985). الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق. دار المريخ للنشر.
- 8- j.b. pontalis, j. la planche (1967). vobulaire de la psychanalyse. puf. PARIS 1967.